المبحث الثاني

أثر الإيمان بالآخرة في الاستهلاك العام

ويتناول هذا القسم الجوانب التالية :

١ ـ ثواب الإنفاق في سبيل بناء قوة المسلمين في الجهاد .

٢ ـ عقوبة تخريب المنافع العامة .

وفيما يلي تحليل تفصيلي لأدلتها من الكتاب والسنة :

١ ـ ثواب الإنفاق في سبيل بناء قوة المسلمين في الجهاد :

إعداد القوة العسكرية التى تحفظ أمن الأمة في مواجهة أعدائها من المسئوليات العامة ، والتى جاء بها الأمر الرباني في قول الله ﷻ :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[الأنفال: ٦٠].

والإنفاق على أوجه الدفاع يعد من أوجه الإنفاق من الزكاة، غير أن الدول تنفقها حاليا من خلال الضرائب المحصلة ، وفى بعض الأزمات الحادة والمواجهات الشرسة ، قد لا تكون الموارد العامة كافية لتغطية مسئوليات الإنفاق العسكري ، وتكون النتيجة فرض مزيد من الضرائب ، التى لا يخلو أثرها من ضجر الممولين وتبرمهم.

أما في المجتمع الإسلامي ، فإن فريضة الزكاة تؤدى دورها ، وإن ضاقت مواردها، تسابق الجميع إلى الإنفاق في سبيل الله ﷻ ، محتسبين الثواب، راجين عوض وبركة ومزيد فضل من الله ﷻ .

وهنا يأتى دور الترغيب المبشر بالجنة ، الذي جاء في أحاديث كثيرة لمن أنفق ماله في سبيل الله ﷻ ، ومن بينها ما ثبت:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «انتدب - تكفل - اللهُ لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلاّ إيمانٌ بي وتصديقٌ برُسُلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنّة ولولا أن أشقّ على أمّتي ما قعدت خلف سريّة ولوددتُ أنّي أُقتل في سبيل الله ثُمّ أحيا ثم أقتل ثمّ أحيا ثمّ أقتل»[1].

---

١) رواه البخاري فى صحيحه بكتاب الإيمان – باب الجهاد من الإيمان.

٢ ـ عقوبة تخريب المنافع العامة :

تخريب المنافع العامة بالإتلاف المتعمد أو بإهمال صيانتها وعدم الحرص على المحافظة عليها ، يعد بغير شك إفسادا في الأرض ، يترتب عليه سوء العاقبة فى الآخرة .

وفى المقابل فإن التوجه المخلص في إصلاحها ، وعد الله ﷻ صاحبه بخير الجزاء في الآخرة ، حيث قال :

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[القصص: ٨٣].

وقد جاء ذكر تعمير الأرض وإصلاحها عامة في أكثر من نص قرآني مبارك ، كما جاء فى التأكيد على أهمية المحافظة على المساجد وشرف إعمارها ، في قول الله :

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾
[التوبة: ١٨]

وجاء في الحديث:

عَنْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضى الله عنهما قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الأَنْبِياءِ قَبْلِي نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مسيرَةَ شَهْرٍ وجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا وأَيُمَا رجُلٍ مِنْ أُمَتِي أَدْرَكَتْهُ الصَلاةُ فَلْيُصَلِّ وأُحِلَّتْ لِي الْغَنائِمُ وكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ كافَّةً وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»[1].

وأبلغ ما في الحديث..ما جاء فيه من معنى شمولي تستوعب به المساجد الأرض جميعها، وترتيباً على ذلك فإن شرف المساجد وإصلاحها، لا يقتصر على تلك الأبنية المسورة بين جدران أربع ، وإنما يتجاوزها إلى كل ما على الأرض أيضا ويتعلق بالحرص على المنافع العامة ذات الأثر الاقتصادي أيضاً.

وعلى ذلك فإن المنافع العامة المتمثلة في المساجد على نحو ما جاء في الآية التالية، لا ينفى تعلق النهى أيضا عن المنافع العامة ذات النفع الاقتصادي.

وقد حذر الله سبحانه جل شأنه من سوء عقوبة المخربين للمساجد كأحد المنافع العامة للمسلمين بقوله :

---

١) رواه البخاري فى صحيحة بكتاب الصلاة – باب قول النبى جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[البقرة: ١١٤].

ومن عظمة الإسلام وشرف تنزهه عن سوء معاملة المخالفين له، والحفاظ على المنافع العامة التي يمارسون فيها شعائرهم، ما جاء في الذكر المبارك عن المحافظة على الصوامع والبيع ، في إيضاح بليغ لسنة الله ﷻ في ذلك، حيث قال جل شأنه:

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحج: ٤٠].

ولعل الفهم العام للمنافع الاقتصادية ، هو الذي دفع بالمسلمين ، إلى رصد الأوقاف المتعددة على مختلف أوجه المنافع العامة ، كالسبل المخصصة لشرب الماء، وبناء المستشفيات وإنشاء المدارس .. وغير ذلك .